التعليل بقول " ذلك بأن "
(دراسة قرآنية)

إعداد

أبو إسلام أحمد بن علي

غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين جميعاً

الفهرس

*

الفهرس.....2
*
مقدمة.....3
1- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال اليهود.....4
2- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال النصارى.....7
3- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال أهل الكتاب (اليهود والنصارى).....8
4- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال الكافرين.....9
5- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال الكافرين و المؤمنين 11
6- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال اليهود والنصارى والمشركون.....12
7- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال المنافقين.....13
8- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال المرتدين.....14
9- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال آكلي الربا.....15
10- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال المتكبرين في الأرض.....16
11- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال الأمم السابقة.....17
12- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال أهل المدينة المنورة.....19

13- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال و آيات قدرة الله في خلقه.....20
*
المراجع.....22

مقدمة :

التعليل بقول - ذلك بأن – (دراسة قرآنية)

يحكي القرآن الكريم كثيراً عن أحداث وقعت للأمم السابقة من اليهود والنصارى وحدثت لأنواع كثيرة من البشر فيوضح ما حدث لهم , ويحكي عن آيات ا تعالى في خلقه ويعلل القرآن الكريم بما حدث لهم بلفظ التعليل (ذلك بأن- أو- ذلك بأنهم) , وهذا اللفظ توضيح لما قبله وتعليل له , وفي هذه الدراسة نوضح في أي المواضع ذكر هذا اللفظ وكان تعليلاً لأي شيء .

فقد ذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم (30) ثلاثون مرة :-

فذكر كتعليل لأفعال اليهود (6) مرات.
وكتعليل لأفعال النصارى (1) مرة واحدة .
وكتعليل لأفعال أهل الكتاب مجتمعين من يهود ونصارى (1) مرة واحدة .
وكتعليل لأفعال الكافرين (5) مرات .
وكتعليل لأفعال الكافرين و المؤمنين (1) مرة واحدة
وكتعليل لأفعال اليهود والنصارى والكافرين مجتمعين (1) مرة واحدة .
وكتعليل لأفعال المنافقين (3) مرات .
وكتعليل لأفعال المرتدين (2) مرتان .
وكتعليل لأفعال آكلي الربا (1) مرة واحدة .
وكتعليل لأفعال المتكبرون في الأرض (1) مرة واحدة.
وكتعليل لأفعال الأمم السابق (3) مرات .
وكتعليل لفعل أهل المدينة المنورة خاصة (1) مرة واحدة .
وكتعليل لآيات ا تعالى في خلقه (4)مرات .

1- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال اليهود

1- {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ

وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}البقرة**61**

*** واذكروا حين أنزلنا عليكم الطعام الحلو, والطير الشهي, فبطِرتم النعمة كعادتكم, وأصابكم الضيق والملل, فقلتم: يا موسى لن نصبر على طعام ثابت لا يتغير مع الأيام, فادع لنا ربك يخرج لنا من نبات الأرض طعامًا من البقول والخُضَر, والقثاء والحبوب التي تؤكل, والعدس, والبصل. قال موسى -مستنكرًا عليهم-: أتطلبون هذه الأطعمة التي هي أقل قدرًا, وتتركون هذا الرزق النافع الذي اختاره ا لكم؟ اهبطوا من هذه البادية إلى أي مدينة, تجدوا ما اشتهيتم كثيرًا في الحقول والأسواق. ولما هبطوا تبيَّن لهم أنهم يُقَدِّمون اختيارهم -في كل موطن- على اختيار ا, ويُؤْثِرون شهواتهم على ما اختاره ا لهم; لذلك لزمتهم صِفَةُ الذل وفقر النفوس, وانصرفوا ورجعوا بغضب من ا; لإعراضهم عن دين ا, ولأنهم كانوا يكفرون بآيات ا ويقتلون النبيين ظلمًا وعدوانًا; **وذلك بسبب** عصيانهم وتجاوزهم حدود ربهم.

2- { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ}**{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}آل عمران**23-24**

*** أرأيت -أيها الرسول- أعجب من حال هؤلاء اليهود الذين أتاهم ا حظا من الكتاب فعلموا أن ما جئت به هو الحق, يُدْعون إلى ما جاء في كتاب ا -وهو القرآن- ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه, فإن لم يوافق أهواءهم يَأْبَ كثير منهم حكم ا; لأن من عادتهم الإعراض عن الحق؟ **ذلك** الانصراف عن الحق **سببه** اعتقاد فاسد لدى أهل الكتاب; بأنهم لن يعذَّبوا إلا أيامًا قليلة, وهذا الاعتقاد أدى إلى جرأتهم على ا واستهانتهم بدينه, واستمرارهم على دينهم الباطل الذي خَدَعوا به أنفسهم.

3- { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّه الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}آل عمران**75**

*** ومن أهل الكتاب من اليهود مَن إنْ تأمنه على كثير من المال يؤدِّه إليك من غير خيانة, ومنهم مَن إنْ تأمنه على دينار واحد لا يؤدِّه إليك, إلا إذا بذلت غاية الجهد في مطالبته. **وسبب ذلك** عقيدة فاسدة تجعلهم يستحلُّون أموال

العرب بالباطل, ويقولون: ليس علينا في أكل أموالهم إثم ولا حرج; لأن ا أحلَّها لنا. وهذا كذب على ا, يقولونه بألسنتهم, وهم يعلمون أنهم كاذبون.

4- { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ }آل عمران112

*** جعل ا الهوان والصغار أمرًا لازمًا لا يفارق اليهود, فهم أذلاء محتقرون أينما وُجِدوا, إلا بعهد من ا وعهد من الناس أمنون به على أنفسهم وأموالهم, وذلك هو عقد الذمة لهم وإلزامهم أحكام الإسلام, ورجعوا بغضب من ا مستحقين له, وضُربت عليهم الذلَّة والمسكنة, فلا ترى اليهوديَّ إلا وعليه الخوف والرعب من أهل الإيمان; ذلك الذي جعله ا عليهم **بسبب** كفرهم با, وتجاوزهم حدوده, وقَتْلهم الأنبياء ظلمًا واعتداء, وما جرَّأهم على هذا إلا ارتكابهم للمعاصي, وتجاوزهم حدود ا.

5- {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}{ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاء لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ}{**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}الحشر2-4

*** هو- سبحانه- الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى ا عليه وسلم، من أهل الكتاب, وهم يهود بني النضير, من مساكنهم التي جاوروا بها المسلمين حول "المدينة", وذلك أول إخراج لهم من "جزيرة العرب" إلى "الشام", ما ظننتم- أيها المسلمون - أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان; لشدة بأسهم وقوة منعتهم, وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس ا ولا يقدر عليها أحد, فأتاهم ا من حيث لم يخطر لهم ببال, وألقى في قلوبهم الخوف والفزع الشديد, يُخْربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين, فاتعظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما جرى لهم. ولولا أن كتب ا عليهم الخروج مِن ديارهم وقضاه, لَعذَّبهم في الدنيا بالقتل والسبي, ولهم في الآخرة عذاب النار.**ذلك**- الذي أصاب اليهود في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة- **بسبب أنهم** خالفوا أمر ا وأمر رسوله أشدَّ المخالفة, وحاربوهما وسعَوا في معصيتهما, ومن يخالف ا ورسوله فإن ا شديد العقاب له.

6- {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**}**الحشر **14**

لا يواجهكم اليهود بقتال مجتمعين إلا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق, أو من خلف الحيطان, عداوتهم فيما بينهم شديدة, تظن أنهم مجتمعون على كلمة واحدة, ولكن قلوبهم متفرقة؛ **وذلك بسبب** أنهم قوم لا يعقلون أمر ا ولا يتدبرون آياته.

2- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال النصارى

1- { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى **ذَلِكَ بِأَنَّ** مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**}**المائدة**82**

لتجدنَّ -أيها الرسول- أشدَّ الناس عداوة للذين صدَّقوك وآمنوا بك واتبعوك, اليهودَ: لعنادهم, وجحودهم, وغمطهم الحق, والذين أشركوا مع ا غيره, كعبدة الأوثان وغيرهم, ولتجدنَّ أقربهم مودة للمسلمين الذين قالوا: إنا نصارى, **ذلك بأن** منهم علماء بدينهم متزهدين وعبَّادًا في الصوامع متنسكين, وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قَبول الحق, وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى ا عليه وسلم, وآمنوا بها.

3- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

1- { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّه مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}** أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**}{ذَلِكَ بِأَنَّ** اللَّه نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ **}**البقرة **174-176**

******* إن الذين يُخْفون ما أنزل ا في كتبه من صفة محمد صلى ا عليه وسلم وغير ذلك من الحق, ويحرصون على أخذ عوض قليل من عرض الحياة الدنيا مقابل هذا الإخفاء, هؤلاء ما يأكلون في مقابلة كتمان الحق إلا نار جهنم تتأجج في بطونهم, ولا يكلمهم ا يوم القيامة لغضبه وسخطه عليهم, ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم, ولهم عذاب موجع. أولئك المتصفون بهذه الصفات استبدلوا الضلالة بالهدى وعذاب ا بمغفرته, فما أشد جراءتهم على النار بعملهم أعمال أهل النار**!!** يعجب ا من إقدامهم على ذلك, فاعجبوا -أيها الناس- من جراءتهم, ومن صبرهم على النار ومكثهم فيها. وهذا على وجه الاستهانة بهم, والاستخفاف بأمرهم.**ذلك** العذاب الذي استحقوه **بسبب** أن ا تعالى نزَّل كتبه على رسله مشتملة على الحق المبين, فكفروا به. وإن الذين اختلفوا في الكتاب فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه, لفي منازعة ومفارقة بعيدة عن الرشد والصواب.

4- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال الكافرين

1- { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**}**الأنفال **12-13**

*** إذ يوحي ربك -أيها النبي- إلى الملائكة الذين أمدَّا بهم المسلمين في غزوة "بدر" أني معكم أُعينكم وأنصركم, فقوُّوا عزائم الذين آمنوا, سألقي في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصَّغَار, فاضربوا -أيها المؤمنون- رؤوس الكفار, واضربوا منهم كل طرف ومِفْصل.**ذلك** الذي حدث للكفار من ضَرْب رؤوسهم وأعناقهم وأطرافهم**; بسبب** مخالفتهم لأمر ا ورسوله, ومَن يخالف أمر ا ورسوله, فإن ا شديد العقاب له في الدنيا والآخرة.

2- { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ**}**التوبة **6**

*** وإذا طلب أحد من المشركين الذين استبيحت دماؤهم وأموالهم الدخول في جوارك -أيها الرسول- ورغب في الأمان, فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويطَّلع على هدايته, ثم أَعِدْه من حيث أتى آمنًا; وذلك لإقامة الحجة عليه; **ذلك بسبب** أن الكفار قوم جاهلون بحقائق الإسلام, فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم.

3- { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا**}{ذَلِكَ بِأَنَّ** اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**}**محمد**10-11**

*** أفلم يَسِرْ هؤلاء الكفار في أرض ا معتبرين بما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب؟ دمَّر ا عليهم ديارهم, وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم.**ذلك** الذي فعلناه بالفريقين فريق الإيمان وفريق الكفر**; بسبب** أن ا وليُّ المؤمنين ونصيرهم, وأن الكافرين لا وليَّ لهم ولا نصير.

4- { وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**}{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**}**محمد**8-9**

*** والذين كفروا فهلاكًا لهم, وأذهب ا ثواب أعمالهم؛ **ذلك بسبب** أنهم كرهوا كتاب ا المنزل على نبيه محمد صلى ا عليه وسلم، فكذبوا به, فأبطل أعمالهم; لأنها كانت في طاعة الشيطان.

5- { فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}{**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ** اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}محمد **27-28**

*** فكيف حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم؟**ذلك العذاب الذي استحقوه ونالوه؛ بسبب** أنهم اتبعوا ما أسخط ا عليهم من طاعة الشيطان, وكرهوا ما يرضيه عنهم من العمل الصالح, ومنه قتال الكفار بعدما افترضه عليهم, فأبطل ا ثواب أعمالهم من صدقة وصلة رحم وغير ذلك.

5- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال الكافرين و المؤمنين

1- { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}{**ذَلِكَ بِأَنَّ** الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ}محمد **1-3**

*** الذين جحدوا أن ا هو الإله الحق وحده لا شريك له, وصدوا الناس عن دينه, أَذْهَبَا أعمالهم, وأبطلها, وأشقاهم بسببها. والذين صدَّقوا ا واتَّبَعوا شرعه وصدَّقوا بالكتاب الذي أنزل على محمد صلى ا عليه وسلم، وهو الحق الذي لا شك فيه من ربهم, عفا عنهم وستر عليهم ما عملوا من السيئات, فلم يعاقبهم عليها, وأصلح شأنهم في الدنيا والآخرة.**ذلك** الإضلال والهدى **سببه** أن الذين كفروا اتَّبَعوا الشيطان فأطاعوه, وأن الذين آمنوا اتَّبَعوا الرسول صلى ا عليه وسلم وما جاء به من النور والهدى, كما بيَّن ا تعالى فِعْلَه بالفريقين أهل الكفر وأهل الإيمان بما يستحقان يضرب سبحانه للناس أمثالهم, فيلحق بكل قوم من الأمثال والأشكال ما يناسبه.

6- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال اليهود والنصارى والمشركون

1- {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ} المائدة **58**

*** وإذا أذَّن مؤذنكم -أيها المؤمنون- بالصلاة سخر اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دعوتكم إليها؛ **وذلك بسبب** جهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون حقيقة العبادة.

7- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال المنافقين

1- {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّه لَهُمْ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** كَفَرُواْ بِاللّه وَرَسُولِهِ وَاللّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}التوبة **80**

*** استغفر -أيها الرسول- للمنافقين أو لا تستغفر لهم, فلن يغفر ا لهم, مهما كثر استغفارك لهم وتكرر; **ذلك بسبب** أنهم كفروا با ورسوله. وا سبحانه وتعالى لا يوفق للهدى الخارجين عن طاعته.

2- {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}{**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} المنافقون **1-3**

*** إذا حضر مجلسك المنافقون -أيها الرسول- قالوا بألسنتهم, نشهد إنك لرسول ا, وا يعلم إنك لرسول ا, وا يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما أظهروه من شهادتهم لك, وحلفوا عليه بألسنتهم, وأضمروا الكفر به. إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها سترة ووقاية لهم من المؤاخذة والعذاب, ومنعوا أنفسهم, ومنعوا الناس عن طريق ا المستقيم, إنهم بئس ما كانوا يعملون؛**ذلك** لأنهم آمنوا في الظاهر, ثم كفروا في الباطن, فختم ا على قلوبهم **بسبب** كفرهم, فهم لا يفهمون ما فيه صلاحهم.

3- { لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ}الحشر **13**

*** لَخوفُالمنافقين وخشيتهم إياكم- أيها المؤمنون- أعظم وأشد في صدورهم من خوفهم وخشيتهم من ا؛ **وذلك بسبب** أنهم قوم لا يفقهون عظمة ا والإيمان به, ولا يرهبون عقابه.

8- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال المرتدين

1- {مَن كَفَرَ بِاللَّه مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ** اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}النحل **106-107**

*** إنما يفتري الكذب مَن نطق بكلمة الكفر وارتدَّ بعد إيمانه, فعليهم غضب من ا, إلا مَن أُرغم على النطق بالكفر, فنطق به خوفًا من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان, فلا لوم عليه, لكن من نطق بالكفر واطمأن قلبه إليه, فعليهم غضب شديد من ا, ولهم عذاب عظيم;**وذلك بسبب** إيثارهم الدنيا وزينتها, وتفضيلهم إياها على الآخرة وثوابها, وأن ا لا يهدي الكافرين, ولا يوفقهم للحق والصواب.

2- { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ} **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} محمد **25-26**

*** إن الذين ارتدُّوا عن الهدى والإيمان, ورجعوا على أعقابهم كفارًا با من بعد ما وَضَح لهم الحق, الشيطان زيَّن لهم خطاياهم, ومدَّ لهم في الأمل.**ذلك** الإمداد لهم حتى يتمادوا في الكفر ; **بسبب** أنهم قالوا لليهود الذين كرهوا ما نزل ا: سنطيعكم في بعض الأمر الذي هو خلاف لأمر ا وأمر رسوله, وا تعالى يعلم ما يخفيه هؤلاء ويسرونه, فليحذر المسلم من طاعة غير ا فيما يخالف أمر ا سبحانه, وأمر رسوله محمد صلى ا عليه وسلم.

9- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال آكلي الربا

1- { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}**البقرة **275**

*** الذين يتعاملون بالربا -وهو الزيادة على رأس المال لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الجنون**; ذلك لأنهم** قالوا**:** إنما البيع مثل الربا, في أن كلا منهما حلال, ويؤدي إلى زيادة المال, فأكذبهم ا, وبيَّن أنه أحل البيع وحرَّم الربا**;** لما في البيع والشراء من نفع للأفراد والجماعات, ولما في الربا من استغلال وضياع وهلاك**.** فمن بلغه نهي ا عن الربا فارتدع, فله ما مضى قبل أن يبلغه التحريم لا إثم عليه فيه, وأمره إلى ا فيما يستقبل من زمانه, فإن استمرَّ على توبته فا لا يضيع أجر المحسنين, ومن عاد إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهي ا عنه, فقد استوجب العقوبة, وقامت عليه الحجة, ولهذا قال سبحانه**:** **(فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).**

10- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال المتكبرين في الأرض

1- { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ**}**الأعراف **146**

*** سأصرف عن فَهْم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي, والمتكبرين على الناس بغير الحق, فلا يتبعون نبيًا ولا يصغون إليه لتكبرهم, وإنْ يَرَ هؤلاء المتكبرون عن الإيمان كل آية لا يؤمنوا بها لإعراضهم ومحادَّتهم ورسوله, وإن يروا طريق الصلاح لا يتخذوه طريقًا, وإن يروا طريق الضلال, أي الكفر يتخذوه طريقًا وديناً; **وذلك بسبب** تكذيبهم بآيات ا وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالاتها.

11- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال الأمم السابقة

1- {أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ}{**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ}غافر21-22

*** أولم يَسِرْ هؤلاء المكذبون برسالتك -أيها الرسول- في الأرض، فينظروا كيف كان خاتمة الأمم السابقة قبلهم؟ كانوا أشد منهم بطشًا, وأبقى في الأرض آثارًا, فلم تنفعهم شدة قواهم وعِظَم أجسامهم, فأخذهم ا بعقوبته؛ بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام, وما كان لهم من عذاب ا من واق يقيهم منه, فيدفعه عنهم.**ذلك** العذاب الذي حلَّ بالمكذبين السابقين, كان **بسبب** موقفهم من رسل ا الذين جاؤوا بالدلائل القاطعة على صدق دعواهم, فكفروا بهم, وكذَّبوهم, فأخذهم ا بعقابه, إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد, شديد العقاب لمن كفر به وعصاه.

2- { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {**ذَلِكَ بِأَنَّهُ** كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }التغابن **5-6**

*** ألم يأتكم- أيها المشركون- خبر الذين كفروا من الأمم الماضية قبلكم, إذ حلَّ بهم سوء عاقبة كفرهم وسوء أفعالهم في الدنيا, ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع؟ **ذلك** الذي أصابهم في الدنيا, وما يصيبهم في الآخرة؛ **بسبب** أنهم كانت تأتيهم رسل ا بالآيات البينات والمعجزات الواضحات, فقالوا منكرين: أبشر مثلنا يرشدوننا؟ فكفروا با وجحدوا رسالة رسله, وأعرضوا عن الحق فلم يقبلوه. واستغنى ا, وا غني, له الغنى التام المطلق, حميد في أقواله وأفعاله وصفاته لا يبالي بهم, ولا يضره ضلالهم شيئًا.

3- { كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ}{**ذَلِكَ بِأَنَّ** اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }الأنفال **52-53**

*** إنَّ ما نزل بالمشركين يومئذ سُنَّة ا في عقاب الطغاة من الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له, عندما كذَّبوا رسل ا وجحدوا آياته, فإن ا أنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم. إن ا قوي لا يُقْهر, شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب من ذنبه. **ذلك** الجزاء السيِّئ **بسبب أن** ا إذا أنعم على قوم نعمة لم يسلبها منهم حتى يغيِّروا حالهم الطيبة إلى حال سيئة, وأن ا سميع لأقوال خلقه, عليم بأحوالهم, فيجري عليهم ما اقتضاه علمه ومشيئته.

12- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال أهل المدينة المنورة

1- {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ** لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**}**التوبة**120**

*** ما كان ينبغي لأهل مدينة رسول ا صلى ا عليه وسلم ومَن حولهم من سكان البادية أن يتخلَّفوا في أهلهم ودورهم عن رسول ا صلى ا عليه وسلم, ولا يرضوا لأنفسهم بالراحة والرسول صلى ا عليه وسلم في تعب ومشقة**; ذلك بأنهم** لا يصيبهم في سفرهم وجهادهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في سبيل ا, ولا يطؤون أرضًا يُغضِبُ الكفارَ وطؤهم إياها, ولا يصيبون مِن عدو ا وعدوهم قتلا أو هزيمةً إلا كُتِب لهم بذلك كله ثواب عمل صالح. إن ا لا يضيع أجر المحسنين.

13- (ذلك بأن) كتعليل لأفعال و آيات قدرة الله في خلقه

1- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ{**ذَلِكَ بِأَنَّ** اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }الحج**5-6**

*** يا أيها الناس إن كنتم في شك من أن ا يُحيي الموتى فإنَّا خلقنا أباكم آدم من تراب, ثم تناسلت ذريته من نطفة, هي المنيُّ يقذفه الرجل في رحم المرأة, فيتحول بقدرة ا إلى علقة, وهي الدم الأحمر الغليظ, ثم إلى مضغة, وهي قطعة لحم صغيرة قَدْر ما يُمْضَغ, فتكون تارة مخلَّقة, أي تامة الخلق تنتهي إلى خروج الجنين حيًا, وغير تامة الخلق تارة أخرى, فتسقط لغير تمام؛ لنبيِّن لكم تمام قدرتنا بتصريف أطوار الخلق, ونبقي في الأرحام ما نشاء, وهو المخلَّق إلى وقت ولادته, وتكتمل الأطوار بولادة الأجنَّة أطفالا صغارًا تكبَرُ حتى تبلغ الأشد, وهو وقت الشباب والقوة واكتمال العقل, وبعض الأطفال قد يموت قبل ذلك, وبعضهم يكبَرُ حتى يبلغ سن الهرم وضَعْف العقل; فلا يعلم هذا المعمَّر شيئًا مما كان يعلمه قبل ذلك. وترى الأرض يابسةً ميتة لا نبات فيها, فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات تتفتح عنه, وارتفعت وزادت لارتوائها, وأنبتت من كل نوع من أنواع النبات الحسن الذي يَسُرُّ الناظرين.**ذلك** المذكور مما تقدَّم من آيات قدرة ا تعالى, **فيه** دلالة قاطعة على أن ا سبحانه وتعالى هو الرب المعبود بحق, الذي لا تنبغي العبادة إلا له, وهو يُحيي الموتى, وهو قادر على كل شيء.

2- { ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}{**ذَلِكَ بِأَنَّ** اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } الحج **61**

3- {**ذَلِكَ بِأَنَّ** اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }الحج**62**

*** ذلك الأمر الذي قصصنا عليك من إدخال المهاجرين الجنة، ومن اعتُدِي عليه وظُلم فقد أُذِن له أن يقابل الجاني بمثل فعلته، ولا حرج عليه، فإذا عاد الجاني إلى إيذائه وبغى، فإن ا ينصر المظلوم المعتدى عليه; إذ لا يجوز أن يُعْتَدى عليه بسبب انتصافه لنفسه. إن ا لعفوٌ غفور، يعفو عن المذنبين فلا يعاجلهم

بالعقوبة, ويغفر ذنوبهم.**ذلك الذي شرع** لكم تلك الأحكام العادلة هو الحق، وهو القادر على ما يشاء, ومِن قدرته أنه يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، وأن ا سميع لكل صوت، بصير بكل فعل، لا يخفى عليه شيء.**ذلك بأن الله هو الإله الحق** الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأن ما يعبده المشركون من دونه من الأصنام والأنداد هو الباطل الذي لا ينفع ولا يضرُّ، وأن ا هو العليُّ على خلقه ذاتًا وقدرًا وقهرًا، المتعالي عن الأشباه والأنداد، الكبير في ذاته وأسمائه فهو أكبر من كلِّ شيء.

4- { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**}{ذَلِكَ بِأَنَّ** اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ **}**لقمان**29-30**

ألم تر أن ا يأخذ من ساعات الليل, فيطول النهار, ويقصر الليل, ويأخذ من ساعات النهار, فيطول الليل, ويقصر النهار, وذلَّل لكم الشمس والقمر, يجري كل منهما في مداره إلى أجل معلوم محدد, وأن ا مُطَّلع على كل أعمال الخلق مِن خير أو شر لا يخفى عليه منها شيء؟**ذلك كله من عظيم قدرتي ;** لتعلموا وتقروا أن ا هو الحق في ذاته وصفاته, وأفعاله, وأن ما يدعون من دونه الباطل, وأن ا هو العلي بذاته وقَدْره وقهره فوق جميع مخلوقاته, الكبير على كل شيء, وكل ما عداه خاضع له, فهو وحده المستحق أن يُعبد دون مَن سواه.

انتهى

المراجع

1- القرآن الكريم.

تم هذا الكتاب بحمد ا وتوفيقه
في يوم الثلاثاء 6 من صفر 1429هـ
الموافق 10 من يونيو 2008م

ahmedaly240@hotmail.com
ahmedaly2407@gmail.com